

صبي في ملابس رياضية

أنطولوجيا فوروارد في الشعر 2015



هالة صلاح الدين

لا يعتقد الإعلامي جيريمي باكسمان أن على الشعراء الهبوط من برجهم السامق والالتحام بعامة الشعب البريطاني، فالشعر "قد توأما على أن يكون معدوم الأهمية"، ولكن أي أنطولوجيا تدعي أنها نهينا "وعيا" حادا بالتنوع والحيوية والذكاء الذي يتمتع به الشعر في بريطانيا اليوم" على حد قول باكسمان محرر أنطولوجيا "كتاب فوروارد في الشعر 2015"، ينبغي أن تبرهن بأكثر الحجج إقناعا على هذا الطموح المبالغ فيه. هل بمقدور لجنة من أربعة أفراد أن تتوصل فعلا إلى باقة تحوي كل ما هو معاصر ومثير ومبتكر، وفي الوقت ذاته شعبي الوقع؟ هل بوسعها الركون إلى خلفيتها الأدبية وتجربتها الحياتية للاضطلاع بهذه المهمة الهائلة؟ وهل بإمكانها حقا الوفاء بحاجات "القارئ العادي" مثلما يرغب باكسمان؟ في مقدمة الأنطولوجيا وضع باكسمان لجنة فوروارد في موقف عسير بعد أن عرّف هذا القارئ بأنه "أي فرد في أي بقعة".

أصدرت دار فوروارد للنشر أول كتاب من كتبها الشعرية عام 1992، وإلى هذا الحين تدعم جائزة تحمل الاسم نفسه. وفي عامها الثالث والعشرين، وبغلاف أصفر متقد بالبهجة من تصميم الفنان البريطاني غاري هيوم، يطرح باكسمان في "كتاب فوروارد في الشعر 2015" مجموعة منتقاة من أجمل القصائد المنشورة عام 2014. توخى فيها قبل كل شيء عامل الأصالة. فالمرحور يضم كرامية للتكرار، لعدم الإتيان بجديد، ويؤمن بان الشعر ما هو إلا نضارة الكلمة وتالق المجاز.

قد يبدو أن المعاصرة المتوغلّة في ثوابت الحياة في بعض قصائد الأنطولوجيا هي ما شدت انتباه محررها مثلما نطالع في قصيدة "في مطعم" لستيفين سانتس التي نالت جائزة فوروارد لأجمل قصيدة عام 2014.

من قصيدة "في مطعم" لستيفين سانتس:

إيماءة تندرُ مني طالباً الفاتورة،
أكتبُ على الهواء
بقلم جبر جاف وهمي،
تعلمتها من كريستوفر
الذي تعلمها من أبيه
الذي علمها لنفسه في مكان ما.
غاب أبو كريستوفر عن الحياة منذ أمد
بعيد:
يخفت صداه شيئاً فشيئاً
يا للغرابة، ما يلبث منا بعد الزوال
أمرٌ يستعصي علينا تخمينه.

محاكم تفتيش

وبالإضافة إلى ورطة الأصالة شبه المستحيلة، تناهى إلينا اقتراح باكسمان الذي تصدّر عناوين الجرائد. يريد أن يخضّر الشعراء علانية جلسات "استجواب" شعرية، مستدعياً في الواقع محاكم التفتيش الأسبانية؛ فيها يبررون اختياراتهم للغة وقراراتهم المتعلقة بالمنهج، يتعرضون للنقد والتحليل إزاء جمهور من القراء وعلى مشهد من كاميرات التلفاز. ينزل بهم العقاب إن ارتكبوا أي بلاغة غير مقنعة أو بدرت منهم سطور مهلهلة مبتذلة!

وهكذا يشارك باكسمان الشاعر الإسكتلندي جون بيرنسايد الاعتقاد بان القراءة "فعل سياسي"، يخضع لقانون العموم في الذوق والحاسة، وهم الدليل الأوحد على ازدهار المشهد الشعري أو انحطاطه، وهو ما يطرح أسئلة موعلة في القدم عن ماهية الشعر ووظيفته ذاتها. ما هو الأصيل؟ ومن الحكم عليه؛ وأي القصائد تحوز رضا الجماهير العريضة؛ يصر مع ذلك محرر "كتاب فوروارد في الشعر 2015" أن الأنطولوجيا منذ تأسيسها توطر بجماهيريتها مشاهد رصدت تاريخياً قفزات الشعر البريطاني من العام إلى التالي. تولى الحكام سيريز ماثيوز وداني أبس وفاني كابيلديو وهيلين مورت، ومعهم باكسمان، على مدار عام 2014 تقييم مئة وسبعين ديواناً ومائتين وأربع وخمسين قصيدة ليزين الكتاب في النهاية صفوة شعراء الجيل، منهم الفائزون بجائزة فوروارد لعام 2014 الذين تسلموا الجائزة بمرکز ساوث بانك في احتفال فخم وصفته جريدة "فاينانشال تايمز" بأنه المعادل الشعري لجوائز الأوسكار، وكذلك كل المرشحين للجائزة، ستة عشر صوتاً شعرياً أسراً مفعماً بالابتكار، منهم محارب سابق وطبيبة في الخدمة الصحية القومية ومواطن يستخدم عقيدة دينية سوداء كي يفك الغاز ماضي إمبريالي تحكّم في وطنه.

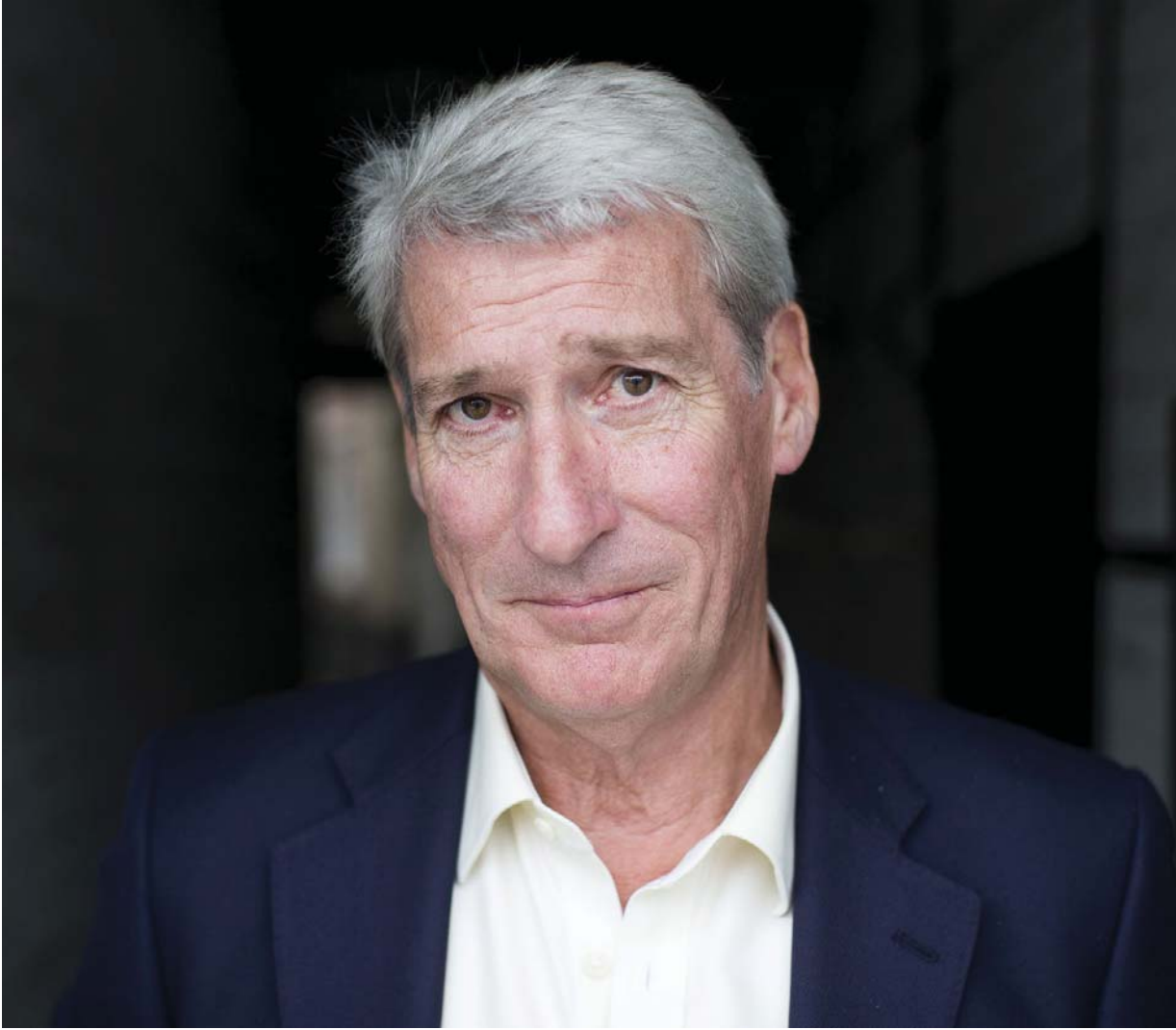
الذاتية تتحدث

كرمت مؤسسة فوروارد ديوان الجاميكي كاي ميلر "واضع الخرائط يحاول رسم الطريق إلى صهيون" بجائزة قدرها 10000 جنيه إسترليني. وعن الديوان الأول لشاعر ناشئ فازت ليز بييري عن كتاب "بلاك كانترى"، وفيه تعقد الفتاة القادمة من منطقة بلاك كانترى العزم على رد الاعتبار للهجة محل سخرية الكثيرين. إذ تصر في قصائدها على التأكيد على ذاتها من خلال التحدث بلهجة مسقط رأسها، وهي حرقياً لغة خاصة! استعصى علي فهم الكثير من كلماتها العامية غير أنها مثلت ولا شك لغة الشارع العادية مثلما روج لها باكسمان. تتضمن الأنطولوجيا كذلك ما يربو على

ستين قصيدة أشادت بها لجنة التحكيم، ومن بين أصحابها دوغلاس دان حامل وسام الإمبراطورية البريطانية وأندور موشن شاعر البلاط الملكي من عام 1999 إلى عام 2009 وروث بادل الفائزة بجائزة ويتيريد والبرفيسور مايكل شميت صاحب مجلد "شعراء الحدائة العظماء". ولا ريب أن شيئاً من الذاتية الفردية تخلل اختيار القصائد. ولكن المحرر ينهي إلينا أن ما يميّز هذه المجموعة بحق هو عامل التجديد الذي أطال نضارتها فسمح لنا بقراءتها مرّة بعد أخرى.

تقصص عاطفي

تؤدي هذه القصائد مهمتها على خير وجه، يتفاعل معها القارئ فتنتابه أحاسيس العزاء والتقصص العاطفي. كان مجتمع القرن السادس عشر قد انهم بالشاعرة البريطانية أن أسكيو بالهرطقة، فعذبها



جيريمي باكسمان ذائقته الراقية لعبت دوراً حاسماً في بناء المختارات الشعرية

الأنطولوجيا بقصائد تلبي هذه الدعوة، ومن المغربي مقارنة قصيدة البريطانية المخضمة بياتريس جارلاند والجندي السابق في حرب العراق الأميركي كيفين باورن. تكتب جارلاند في قصيدة "إجازة الشاطئ":

تجلس أكلاً برتقالة،
دون أن تمنحني منها
وتحملق إلى البحر.
تترامى الهمال أمامي
مُجَدَّرَة بفوهات براكين صغيرة
كل واحدة منها دمعة وحشية ملحمة.

ويستحضر باورن حرب العراق، موضوعه الأثير، في قصيدة "السهل العظيم":

هنا يبدأ الإدراك،
صبي في ملابس رياضية مخملية
يكسوها الغبار
كاد ينضرب بالرصاص.
حين أقول الصبي، أعني الكلمة.
حين أقول كاد ينضرب بالرصاص،
ذلك ما أعنيه بالضبط.
لأن جلب الهاون غير المتفجر إلينا
يتطلب نوعاً خاصاً من الشجاعة لا أنعمُ
بها.

وعلى الرغم من الهوة الفاصلة بين موضوعي القصيدتين ونبرتيهما، فكلاهما شخصيتان تخوضان في موضوعين إنسانيين - الحب والحرب - تنهلان من

السلطة وحرقتها على خازوق. رثاها الشاعر البريطاني ديفيد هارسينت الفائز بجائزة تي إس إليوت لهذا العام بقصيدة دموية، فيها يتبدى الشاعر مهووساً بالقتل، يراقب كعادته عملية الذبح والفناء:

أن، لا تعنين لي شيئاً.
ولكنك فلطنت تماماً
كيف تخلعين عنك
فستانك
أثناء انظارهم عند آلة
التعذيب.
ولكنها كانت على أهبة
الاستعداد،
مشهد لا يسعني الآن أن
أزيحه من عقلي.
ولكن لم يتدفق منك إلا ذلك
السيلان الأسود،
جعلوك خاوية دامية.

تجربة وانطباع

وعلى ضرب باكسمان جاءت دعوة الشاعر البريطاني ستيف إيبي إلى كتابة قصائد "تجاوز النزعة السلبية الرجعية الشخصية التي تسود الشعر حالياً، وكتابة شعر يتحلّى بالطموح والثقة للتفاعل مع القضايا العامة". الحق أن التمييز بين هذين الاتجاهين الشعريين يبدو لصيقاً بهذه الأنطولوجيا التي تزعم القبض على "خلاصة الشعر المعاصر". تعج



"موقف وتجربة وانطباع بالضبط مثلما يود إيبي. تداخل القصيدتين لغة غير مزخرفة تتجرد من الإهداء والغرور، ومع تواضعهما ترميان بوعي شديد بالذات نظرتهما الشاخصة إلى الأفق لتشددا على سلطتهما، "أعني الكلمة"، "ما أعنيه بالضبط".

تبعية شعرية

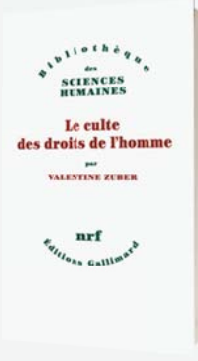
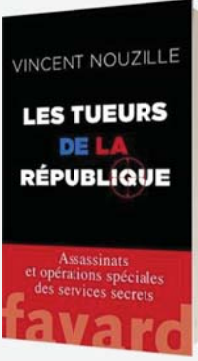
يسري مستوى معيّن من الاتكال والتبعية في قصائد يناصرها باكسمان وإيلي، فالوعي الشعري بها يعتمد في الغالب على تلقي القارئ. لو تحقق هذا الوعي بسلاسة، تلوح القصيدة أقرب إلى عالم القارئ وحواسه. وهكذا لا يطالنا باكسمان بالكثير، فلنجلس وننخيل ونستمع دون تحديات نخبوية أو عقلية قد تناهى بنا عن المغزى. إنها الديمقراطية الشعرية الجديدة.

رفع الشاعر الإنجليزي بيرسي شيللي الشعراء في مقالته "دفاع عن الشعر" إلى درجة "شعري العالم غير المعترف بهم"، واصفاً الشعر بأنه "سجل لأجمل لحظات العقول الجميلة السعيدة وأسعدها". وفي هذا المختارات من القصائد المجيدة تتجلى لنا سلطة كلمات شيللي ونبوغها الحسي والمادي المنعكس ظلالة على عالمنا المعاصر عندما تنهل من قفزة عاطفية إلى أخرى، تعزف على وتر الابتكار اللغوي من خلال عدسة فردية يغلّفها الشعر بخلاف الانهماك اليومي.

فرنسا وتصفية الخصوم جسدياً

لا جديد الصحافي فنان نوزيل، كتاب بعنوان "قتلة الجمهورية" يفضح فيه سرا من الأسرار التي تتكتم عليها الدولة الفرنسية، ألا وهو لجوؤها إلى تصفية الخصوم جسدياً، وهو لجوؤها فرق موت خاصة، كما في الأفلام، بدعوى أنهم يشكلون خطراً على مصالحتها، أو يهددون أمنها القومي. ولا تقتصر العمليات على التراب الفرنسي وحده، بل تتعداه إلى مناطق نفوذها الواسعة، سواء في الشرق الأوسط، أو في مستعمراتها القديمة بأفريقيا السوداء. وتأتي هذه العمليات في شكل انتقام موجه، أو سلسلة اغتالات، أو القضاء على زعماء تنظيمات إرهابية، أو إشعال صراعات

قبلية وحروب أهلية، أو عمليات يوعز بتنفيذها قصر الإليزي نفسه إلى مجموعة من المرتزقة، أو إلى أعوان من المخابرات الصديقة التي تحفظ الأسرار. اعتماداً على الوثائق واعترافات شهود، يكشف الكاتب عن الساهرين على "عمليات هومو" والمقصود بها قتل البشر، التي تمت تحت سائر رؤساء الجمهورية الخامسة، من ديغول إلى فرانسوا هولاند.



لا في كتابها "عبادة حقوق الإنسان"، تستعرض المؤرخة وعالمة الاجتماع الفرنسية فالنتين زوبر ظروف ظهور إعلان حقوق الإنسان والمواطن في صيف 1789، وتكريسه رمزاً للتوريين في فرنسا وخارجها، قبل أن يصبح أشبه بإنجيل يضم المبادئ المقدسة للجمهورية الفرنسية، وعقيدة لكل تشكيلة سياسية تنشط داخلها. هذا التقديس في رأيها يطرح مسألة وجود شكل من أشكال الديانة المدنية داخل الجمهورية، رغم علمانيتها الملغنة. ذلك أن هذا الإعلان، الذي صيغ في الأشهر الثلاثة الأولى للثورة الفرنسية، تركز على مَرّ الأجيال، حتى صار جزءاً لا يتجزأ

من التقاليد الجمهورية، منذ 1889 إلى تاريخ الاحتفال بمرور قرنين على اندلاعها عام 1989، كديانة مقدّسة يعيدها الجميع، ويعبرون عن انتمائهم إليها واعتزازهم بها، والإشادة بها في المحافل الدولية، حتى باتت فرنسا تعرف ببلد حقوق الإنسان.

ديانة القرن



لا ميشيل بوتور كتابان في أدب المقالة لا يزالان يحظيان باهتمام النقاد. الأول هو "التعديل" والثاني هو "عبقرية المكان" الذي صدر أول مرة عام 1958 وأعيد طبعه مؤخراً. هذا الكتاب جمع بورترتيهات أدبية راقية لسبع مدن متوسطية هي قرطبة وإسطنبول وصالونيك ودلفي ومليّة ومنتوفا وفرّارا، إضافة إلى جزء خاص بتأملات وأشعار وطرائف يرويها الكاتب عن مصر، التي أحبها وأقام بها. هي مقالات أدبية بدیعة استوحاها الكاتب حول تاريخ المدن التي زارها وأدائها، ويجعل مما سماه "النقد الجغرافي" عملاً فنياً، مذكراً بان المدن ليست

من معجزات الطبيعة، بل هي تحف بدیعة من صنع الإنسان، يشيّدھا اباطرة ویدمرھا فاتحون، ولكن فيها نحاتين أقاموا أضناماً، وكتابا ألفوا كتباً، وفنانين صاغوا ألقاناً خالدة. ومن فمّ لا غرابة أن نلتقي ببورخس في عطفة شارع من شوارع صالونيك، أو ابن رشد في ساحة قرطبة.

